الفصل الثالث

الجوانب البصرية والسمعية والحسية في قصص القرآن الكريم

أولاً: نظرة شاملة

لقد اعتمد القرآن الكريم كثيراً على التصوير في إعجازه الأسلوبي وبيانه التعبيري واتخذه أداة للتعبير عن كل المعاني والأحوال والمشاهدات المحسوسة وغير المحسوسة كما اعتبره وسيلة للإمتاع الفني لقارئه وبذلك كان البحث في التصوير موصلاً للكشف عن بعض جوانب الإعجاز القرآني وجماليات التعبير فيه . القرآن الكريم – كتاب الله – الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وكلامه الذي أعجز أرباب الفصاحة والبلاغة عن الإتيان بمثله أو ببعضٍ من مثله، كتاب حفل بالتشريع والتنظيم والأمر والنهي والوعد والوعيد والقصص والأخبار وصاغ كل ذلك المختلف في أسلوب مؤتلف خلب الألباب وأذهل العقول وأثَّر في سامعيه أبلغ تأثير «ببلاغة ألفاظه وجرس أصواته وكان له من الوقع في القلوب والتمكين في النفوس ما يذهل ويبهج ويغلق ويؤنس ويطمع ويؤنس ويضحك ويبكي... [1]» وقد بلغ هذا التأثير حداً جعل بعضهم يعزل هذا الوجه من أوجه الإعجاز عن الوجه البلاغي [2] فهو كلام قرآني بالمعنى «اللطيف الذي يتميز فيه العالم المتقدم ويقر بالقصور عنه النقاب المبرز [3].

(١) إعجاز القرآن، الباقلاني، ٢٤٨.

(٢) من بدائع النظم القرآني ، إبراهيم الجعلي ، ص ١٥.

(٣) تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، ٦٢.

وقد دارت حول القرآن الكريم دراسات شرعية كثيرة في عددها متنوعة في اتجاهاتها كما دارت حوله أيضاً دراسات أدبية كثيرة والدراسة الأدبية لأي موضوع من مواضيعه هي تعبير عن «تفاعل نقط عديدة في بؤرة واحدة» [1] لقد اعتمد القرآن كثيراً في أسلوبه البليغ على «التصوير» بل اتخذه الأداة المفضلة في التعبير عن كل المعاني الذهنية والأحوال النفسية والمشاهد المنظورة وهو بذلك يعطيها حركة وحياة تتجلى من خلال الحوار وتعدد المناظر وتجدد الحركات فتؤثر في النفوس وتحدث الانفعالات[2] وبذلك يتحول التصوير من حلية إلى وسيلة ناجحة وطريقة ناجعة في رسم معالم النفس الإنسانية وأحوالها وأوضاعها وتحويل كل ما هو معنوي مجرد إلى محسوس ملموس يحقق فائدة معنوية ومتعة نفسية ويخاطب العقل والقلب معاً. ولما كانت وظيفة الكلام الإبانة عن الأغراض وكلما كانت الإبانة عن هذه الأغراض قوية من خلال التصوير الدقيق والنظم الحسن كان الكلام شريفاً[3] وقد أسهم التصوير في الكشف عن بعض جوانب الإعجاز القرآني[4] وساعد على استرواح الجمال الفني الخالص في كتاب الله ومكن الدارسين من الوقوف بأنفسهم على ذلك الجمال والاستمتاع به في وجدانهم وشعورهم[5]، ولا نقصد بالتصوير هنا حصره في المصطلحات البلاغية المعروفة سواء ما اتصل منها بعلم البيان[6] أو بعلوم البلاغة الثلاث[7] -فقط- بل نعني به مفهوماً أوسع

(1) نظرية المعنى، مصطفى ناصف، ١٩٢.

(2) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ٣٦.

(3) إعجاز القرآن، الباقلاني، ١٢٢-١٢٣.

(4) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ٢٣٠-٢٣٣.

(5) مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ٣١٩.

(6) الصورة الأدبية، د. مصطفى ناصف، ٣.

(7) جماليات الأسلوب «الصورة الفنية في الأدب العربي»، د. فايز الداية، ٩.

يشمل اللغة بألفاظها وأصواتها والعلاقات التي تربط اللفظة بما يجاورها من ألفاظ[1] إذ «الألفاظ في الأسماع كالصور في الأبصار[2]» وهي «تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر» [3]، وعليه فالتصوير هو تمثيل وقياس لما ندركه بعقولنا عن الذي نراه بأبصارنا [4] أي باللغة، فاللغة وسيلة للتصوير وهي ليست مجموعة من الألفاظ فقط بل مجموعة من العلاقات [5] التي تربط هذه الألفاظ بعضها ببعض وهذه الألفاظ بأصواتها ومعانيها المستقرة في الأذهان وإضفاء شحنات دلالية إضافية لها من خلال السياق والتركيب – كل ذلك – يوجد لوناً من التصوير قادراً على إيصال المعنى المراد وإحداث الأثر المطلوب في نفس المتلقي أياً كان مجال التصوير ونوعه. وبذلك يتحقق البيان بمفهومه «إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك»[6].

وأراد الباحث أن يعطي نموذجاً تحليلياً عن الجوانب السمعية والبصرية والحسية وهو ما لا يجده في البحوث السابقة في قصص القرآن الكريم.

◆◆◆

(1) ينقل ابن رشيق عن الجرجاني قوله « التشبيه والتمثيل يقع مرة بالصورة وأخرى بالحالة والطريقة » العمدة ، ١/ ٢٩٥ وينظر في هذا المفهوم أيضاً : لغة التصوير الفني في شعر النابغة الذبياني، سعد حموده، ١٥٧- ١٥٩ .وأيضاً ينظر: الفكرة والصورة في شعر زهير بن أبي سلمى، فتحية محمود فرج العقدة، ٢٢٨.

(2) العمدة، لابن رشيق القيرواني، ١/ ٢٢٢.

(3) المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب ، لابن الأثير، ١/ ١٨١.

(4) دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ٥٠٨.

(5) في الميزان الجديد، محمد مندور، ١٧٧ .

(6) العمدة ، ابن رشيق ، ١/ ٢٥٤.

ثانيا : أمثلة على الجوانب البصرية والسمعية والحسية

(١) قصة فتية الكهف.

النمط البصري	النمط السمعي	النمط الحسي
١ ـ وصف الكهف ٢ ـ هيئة الكلب ٣ ـ هيئة أهل الكهف داخل الكهف ٤ ـ هيئة العملة	١ ـ سماع صوت الفتية ٢ ـ سماع صوت أهل المدينة	١ ـ الحرس والتلطف ٢ ـ الخوف والتوجس.

أولاً :النمط البصري.

أول ما يخطر ببالنا صورة الكهف وهيئته من حيث موقعه وفتحته بالنسبة لوضع الشمس، وفتحة مدخله وحجمه من الداخل وهيئة الكلب وشكل العملة، وهيئة الفتية من حيث طولهم وطول شعرهم وهيئة وجوههم. وهنا تظهر ملامح البناء الفني وأسلوب السرد للقصة، وهنا تتبدى أهمية المكان . (الكهف) في التعبير عن المعنى من عدة جوانب، فهم يفضلون الكهف بشظفه وخشونته على رفاهية حياة المدينة التي كانوا يعيشونها، وفي هذا دلالة على صدق عقيدتهم ، ومن ناحية أخرى يعبر الكهف بشكله المعهود كأن الطبيعة تحتويهم في أحضانها وقت حاربهم البشر وهنا يظهر لنا ملمح فني جديد، فيما يسمى (ضغط الزمن) فالفن لا يهتم بالزمن الضعيف الذي لا يأتي بأحداث مؤثرة، فتقفز القصة إليهم وهم نائمون في الكهف. ونحلل النمط البصري من خلال العناصر التالية:

١ ـ وصف الكهف:

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف: ١٧].

فها هم أولاء نراهم في الكهف نائمون ، وهنا تتجلى مظاهر الدقة الفنية في رسم الجو العام ووضع إضاءته المناسبة ما بين الخارجي والداخلي، إذ تراهم نائمون في الداخل وأشعة الشمس تتماوج في الخارج لتعبر عن حركتها وهي تزاور عن الكهف عند مطلعها فلا تضيئه وتجاوزهم عند مغيبها فلا تقع عليهم، ونلمح هنا أسلوب فني لم يكتشفه الإنسان إلا في القرن العشرين في فن السينما، وهو أسلوب (الفوتو مونتاج) وهو عرض مجموعة لقطات سريعة تعبر عن حدث ومرور فترة زمنية، وهنا تعبر آيتان عن مرور ثلاثمائة وتسع سنين، وذلك بأسلوب (الفوتو مونتاج) في مرور الشمس وتقلبهم المستمر.

٢ ـ هيئة الكلب:

قال تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨].

٣ ـ هيئة أهل الكهف داخل الكهف:

قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨].

٤ ـ هيئة العملة:

وهنا يأتي دور التركيز على التفاصيل المتقاة بدقة في قوله تعالى ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الكهف]. والورق بكسر الراء هو العملة الفضية، وبالتالي لم تتلف بمرور الزمن بل أنها ستكون سبب اكتشاف أمرهم، فهي

عملة تعبر عن حقبة تاريخية معينة وأهل المدينة يتناقلون أمر الفتية الذين اختفوا في تلك الفترة...

ثانياً :النمط السمعي. والبعض الآخر أول ما يخطر ببالهم :

١ـ سماع صوت الفتية:

وهم مستيقظين من نومهم قال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الكهف]. يستيقظون من نومهم الطويل وكأنهم ولدوا من جديد من رحم الطبيعة، يتساءلون كم مر من الوقت؟ يظنون أنه يوماً أو بعض يوم، فلا شيء غريب يلفت نظرهم لمرور هذه الفترة الزمنية الطويلة، ولكننا نعلم أنهم لبثوا أطول من ذلك بكثير، وهذا هو أهمية المقدمة في هذه القصة، وبما أنهم مؤمنون فليكن إذن الحوار معبر عن الشخصيات بصدق فيكون الجواب ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ [الكهف:١٩]. وفي نفس الوقت فهم لا يعلمون بما مر من الزمن فنراهم متخوفون أن ينفضح أمرهم، فهم يوصون رسولهم بأن يتلطف في الحركة ولا يشعرن بهم أحداً لئلا يعرف القوم مكانهم فيرجموهم أو يعيدوهم في ملتهم، ولكننا مطمئنون نعرف أن هذا لن يحدث، فالمقدمة قد أخبرتنا أن الله تعالى قد تولى أمرهم، ولكن يأخذنا الفضول لنعلم باقي قصتهم العجيبة هذه فنستكمل القراءة بهدوء واطمئنان فنحن نعلم أنه (**فلاش باك**) .

٢ ـ سماع صوت أهل المدينة:

وهنا الإبداع الفني يتجلى مرة أخرى إذ أن الفن هو انتقاء لمكان وزمان ورسم شخصيات وتضفير المعاني بالتفاصيل المناسبة لها، فتكون العملة الفضية خير

تفصيلة يتم استخدامها في التلميح بطريقة اكتشاف أمرهم قال تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۗ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف].

يتم ضغط الزمن مرة أخرى والقفز بالحدث فلا نجد إلا أن أمرهم قد إكتشف، فهنا فجوة مجهولة، فلا يهم تفاصيل من اللغو في كيفية ذهاب الرسول وكيفية اكتشاف الأمر، فهدف القصة ليس مجرد التسلية ولكنه هدف ديني من المقام الأول والمضمون لابد أن يطغى، وإن كان التلميح بالعملة الفضية فيه الكفاية يكتشف أهل المدينة وإن كان الناس يومئذ مؤمنين لا كافرين، يقرر أهل المدينة الاحتفاء بالفتية.. ولكن الله تعالى قد أماتهم.. وهنا ضغط زمن آخر، فالله تعالى قد أماتهم برحمته بعد هذه التجربة الصعبة التي لا يستطيعون تحمل تبعتها نفسياً.. ولا نعلم كيف تم الأمر فهو الذي يحيي من يشاء ويميت من يشاء، فقد أحياهم للموعظة وليكونوا آية وموعظة للناس وليس لكي يستكملوا حياتهم، فالحياة بعد هذه التجربة الصعبة لا يحتملونها... والغموض هنا في كيفية موتهم يزيد من رونق القصة، فقد طواهم المجهول في كنفه بعد ما تمت الحكمة الدينية من بعثهم....

ثالثاً: النمط الحسي. والبعض الثالث أول ما يخطر ببالهم:

١ ـ الحرس والتلطف:

وهو توخي الحيطة والحذر أثناء دخولهم المدينة أول مرة: قال تعالى:﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾. [الكهف].

٢ ـ الخوف والتوجس:

وهو خوفهم من أن يظهر أمرهم وينكشف سرهم فيعلم الملك بهم ويجبرهم على

العودة إلي الشرك مرة أخرى: قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾. [الكهف].

(٢) قصة مريم وولادة عيسى عليه السلام

النمط البصري	النمط السمعي	النمط الحسي
١ ـ هيئة المكان وموقعة من بيت المقدس	١ ـ حوار مريم مع الملك في الخلوة	١ ـ رهبة مريم عند رؤيتها للملك لأول مرة
٢ ـ هيئة الملك وصورته البشرية	٢ ـ صوت الملك وهو يطمئنها أثناء الولادة	٢ ـ خوف مريم من هذا الحمل وابتعادها عن أهلها عندما اتخذت مكاناً قصيا
٣ ـ هيئة النهر والشجرة وجذعها	٣ ـ حوار أهل مريم لها بعد عودتها بعيسى عليه السلام	٣ ـ خوف مريم من الفضيحة بأن لا يصدقها أهلها بهذا الطفل عند العودة به بعد الولادة
٤ ـ هيئة مريم أثناء الحمل وآلام الوضع	٤ ـ صوت عيسى عليه السلام في المهد	

أولاً :النمط البصري:

أول ما يخطر ببالنا من هيئة المكان وموقعه من بيت المقدس والنهر، وهيئة الملك وهو يحدثها وصورته البشرية وشكل الشجرة التي كانت تلد تحتها وشكل مريم أثناء الولادة وصورتها أثناء آلام الوضع وهي تمسك بجذع الشجرة وتعبيرات وجهها وهي راجعة بالطفل لأهلها.. وهنا تظهر ملامح البناء الفني وأسلوب السرد للقصة، وهنا تتبدى أهمية المكان في التعبير عن المعنى من عدة جوانب، ومن

ناحية أخرى تعبر الشجرة والنهر بشكلها المعهود كأن الطبيعة تحتويها في أحضانها وقت خروجها من بيت المقدس وهنا يظهر لنا ملمح فني جديد، فيما يسمى (ضغط لزمن) فالفن لا يهتم بالزمن الضعيف الذي لا يأتي بأحداث مؤثرة، فتقفز القصة عن الخروج من بيت المقدس إلى النهر إلى الشجرة إلى قومها ومعها الطفل دون لمرور بمراحل الحمل ومدته. ونحلل النمط البصري من خلال العناصر التالية:

١ ـ هيئة المكان وموقعة من بيت المقدس:

أول ما يتبادر إلى الذهن الموقع الجغرافي للمكان التي كانت تستر فيه نفسها، وموقعه بالنسبة إلى بيت المقدس، أهو على النهر مباشرة؟، أهو بعيد عن العمران؟، لم يراها أحد وهي في هذا الموضع؟،أكانت تستعمل ستاراً معيناً من الألياف أو لقماش، حتى لايراها أحد؟ ، أكان الستار على هيئة مربع ناقص ضلع ومفتوح من تجاه النهر؟.... كل هذه أسئلة تتبادر بالذهن عندما نقرأ قوله تعالى:﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ [مريم].

٢ ـ هيئة الملك وصورته البشرية:

أول ما يتبادر إلى الذهن صورة الملك... هيئته ... لون بشرته... هيئة ملابسه... طول قامته... تعبيرات وجهه.... نبرات صوته... مكان وقوفه... نظراته... هل مريم كانت مستترة؟ ....هل وضع يده على كتفها ليطمئنها؟....هل شكله يشبه أحد من قومها؟....أم شكله وكأنه آت من مكان بعيد؟.....إلخ. كل هذه أسئلة تتبادر إلى الذهن عندما نقرأ قوله تعالى:﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم].

٣ ـ هيئة النهر والشجرة وجذعها:

أول ما يتبادر إلى الذهن... شكل الشجرة.... هل جذعها سميك؟.... هل

طويلة؟....هل الرطب كان مرتفعا؟.... هل الشجرة كانت مائلة نحو النهر؟... هل الماء كان مرتفعا وفي متناول يدها؟.... هل التربة على الشاطئ كانتة طينية أم رملية؟.... هل الشجرة بمكان لايستطيع أحد أن يرى مريم تحتها أثناء الولادة؟....هل جذع الشجرة كان كبيراً بحيث تستتر وراءه بحيث لا يراها أحد؟...إلخ. كل هذه أسئلة تتبادر إلى الذهن عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾. [مريم].

٤ ـ هيئة مريم أثناء الحمل وآلام الوضع:

أول ما يتبادر إلى الذهن... صورة مريم وهي تتألم وتتلوي من شدة الألم... ليس هناك مغيث ولا منقذ ولا مساعد إلا الله ـ سبحانه ـ لقد بدأت تعبيرات وجهها تتغير ... إنه مزيج من الألم الجسمي ... والصراع النفسي... إنه الخوف ممزوج بالألم.... ماذا حدث لي؟.... إن هذا أمراً غريباً وعجيباً ... حقاً ...إنه لم يحدث لفتاة من قبلي.... ياليت... أمي لم تلدني... ياليتني كنت سقطة يوم ولدتني أمي...إلخ. كل هذه تعبيرات يمكن أن نحسها عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾. [مريم]

ثانياً :النمط السمعي. والبعض الآخر أول ما يخطر ببالهم:

١ ـ حوار مريم مع الملك في الخلوة: أول مايتبادر إلى الذهن الحوار التالي:

مريم: من أنت؟!!! ... إني أعوذ بالله منك إن كنت تخشى الله. .....إن كنت تخاف الله ...ارحل من هنا...

جبريل:أنا رسول من عند الله رب العالمين؟.... أرسلني الله تعالى إليك لأبشرك

بأنك تحملين في نبي وجيها في الدنيا والاخرة.

مريم: وكيف لي أن أحمل وأنا غير متزوجة؟ ... إنني لم أمارس البغاء... إنني لست كذلك.

جبريل: إن ربك يقول لك : هذا شيء سهل وهين على الله تعالى الذي خلقك... وابنك هذا يكون آية لطلاقة قدرته في الكون ولا يكون هناك حمل مثلك بعد... وهذا أمر دبر من قبل وكتب في اللوح المحفوظ... فلا تبديل ولا تغيير لأمر الله

هذا الحوار نتخيله عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾. [مريم].

٢ ـ صوت «عيسى» وهو يطمئنها أثناء الولادة:

عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾. [مريم].... نتخيل الحوار التالي:

مريم: ياليت أمي لم تلدني... ماذا أقول لقومي؟

عيسى: ياأمي لا تحزني؟... إن الله تعالى قد جعل حولك نهر تغتسلي منه وتشربي... ولن ينساك.... هزي؟.... هزي ياأمي بجذع النخلة؟.... الرطب سوف يسقط بأمر الله على الأرض... كلي واشربي ولا تحزني؟... وعندما يكلمك أحد من أهلك ... لاتتكلمي؟.

٣ ـ حوار أهل مريم لها بعد عودتها بعيسى عليه السلام :

عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن

كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾. [مريم]..... يتبادر إلى ذهننا الحوار التالي:

أهل مريم: ماهذا الذي تحملينه على يديك يامريم؟ ....لا...لا...إنّ هذا أمر لايصدر عنك أبداً!!! ... أأنت تسخرين منا؟!!... كلا...كلا... إن أباك كان رجلاً صالحاً!!! ... وأمك من سلالة طهرة عفيفة!!!! .... إننا لانكاد نصدقك أنك...!!

مريم: لاتتكلم... وتشير إلى ولدها!!!.

أهل مريم:آتسخرين منا يامريم؟... هذا طفل رضيع مازال في فراشه وحديث الولادة... كيف نكلمه؟!!!...

٤ ـ صوت عيسى عليه السلام في المهد:

عندما نقرأ قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾. [مريم]... يتبادر إلى ذهننا الحوار التالي:

عيسى: ينطق ويقول: أنا عبد الله... آتاني الكتاب(الإنجيل)... وجعلني نبياً مباركاً....وأوصاني بالصلاة والزكاة طيلة حياتي...وجعلني باراً بأمي... وسلام عليّ من ربي... يوم ولادتي... ويوم موتي... ويوم بعثي من قبري!!!.

أهل مريم: يلتفتون إلى بعضهم في دهشة وحيرة ويتعجبون: إننا لا نكاد نصدق ما سمعناه... إنها معجزة... إنها براءة مريم من السماء... إنه اصطفاء لها من الله!!.

ثالثاً: النمط الحسي. والبعض الثالث أول ما يخطر ببالهم:

١ ـ رهبة مريم عند رؤيتها للملك لأول مرة:

قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾.[مريم].

٢ ـ خوف مريم من هذا الحمل وابتعادها عن أهلها عندما اتخذت مكاناً قصيا:

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ [مريم].

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ [مريم: ١٧].وقوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾.[مريم].

٣ ـ خوف مريم من الفضيحة بأن لا يصدقها أهلها بهذا الطفل عند العودة به بعد الولادة:

قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾.[مريم:٢٧].

ولك أن تتخيل الموقف النفسي لمريم في كل موقف من المواقف السابقة،...هل ممكن أن تتخيليه أيتها الإبنة العفيفة وأنت لم تتزوجين ولم تمارسي البغاء؟.... هل لك أن تتخيله معي أيها الأب الصالح لابنتك العفيفة الشريفة؟... إن الأمر يختلف باختلاف الطبيعة الإيمانية للإنسان ومعايشته القرآن وفطرته وتنشئته...

◆◆◆